ملخص:

هذه الدراسة هي محاولة للبحث والكتابة في مجال الذاكرة الجماعية للاجئين الفلسطينيين، وقد شكّل اللاجئون الذين هُجروا من قرية بيت جبرين عام 1948 ويقيمون الآن في مخيمي الفوار قضاء الخليل وبيت جبرين/العزة في بيت لحم مجتمعاً للبحث، وكان الهدف الأساس من إجراء الدراسة هو الوقوف على مخزون الذاكرة الجماعية عند ثلاثة أجيال من اللاجئين بدءاً بجيل الآباء أو ما يعرف " بجيل النكبة " ومروراً بجيل الأبناء ثم جيل الأحفاد. وللحصول على البيانات الإمبريقية من مصادرها الأولية فقد تم مقابلة ستين لاجئاً ولاجئة موزعين بالتساوي على هذه الأجيال وذلك بعد أن تم إعداد خطة للمقابلة تضمنت مجموعة من المحاور التي ارتبطت بشكل الحياة الاقتصادية والاجتماعية كما كانت عليه في القرية قبل النكبة وكذلك بتجربة الاقتلاع والتهجير التي مرّ بها الأهالي بعد أن أُحتلت قريتهم عام 1948.

وانطلقت الدراسة من فرضية أساسية تقول: " بأن عملية انتقال الذاكرة الجماعية من جيل إلى جيل خلال الثمانية والخمسين سنة الماضية قد رافقها إخفاقات، وبالتالي فان مخزون الذاكرة الجماعية قد تراجع بشكل ملحوظ عند الأجيال التي تلت جيل النكبة أو الآباء ليصل إلى حدِّه الأدنى لدى جيل الأحفاد ".

وبالإضافة إلى هدف الدراسة الأساسي – سالف الذكر – فقد هدفت الدراسة كذلك إلى قياس أثر بعض المتغيرات المستقلة الأخرى على مخزون الذاكرة الجماعية عند اللاجئين كمستوى التعليم، والنوع الاجتماعي، ومكان السكن، وأية متغيرات أخرى قد تظهر خلال تحليل المقابلات، أيضا فقد هدفت الدراسة إلى التعرف على الأطر والقنوات التي تتم من خلالها عملية انتقال وتوريث الذاكرة الجماعية من جيل إلى جيل وأثر بعض المتغيرات المستقلة على عملية الانتقال والتوريث هذه والقنوات المستخدمة في ذلك.

وقد جاءت النتائج التي تم التوصل إليها لتدعم صحة الفرضية وتؤكدها، حيث أظهرت غالبية المقابلات مع اللاجئين وجود فروق جوهرية بين الأجيال الثلاثة في غالبية محاور الذاكرة الجماعية التي جرى التركيز عليها في الفصلين الثالث والرابع من الدراسة، فتميز الآباء [جيل النكبة] بمخزون كبير من الذاكرة الجماعية مقارنة بالأجيال الأخرى، كما انطوى هذا المخزون على الكثير من القصص، والصور،

والدلالات، والمعرفة، والتسلسل في سرد الأحداث، وفي المقابل فقد تراجع هذا المخزون بشكل ملحوظ كما ونوعاً بين اللاجئين من الجيل الثاني[الأبناء]، أما الأحفاد فقد انخفض مخزون الذاكرة الجماعية عندهم إلى درجة أنه أصبح هناك فروق جوهرية بينهم وبين الأبناء.

أيضا فقد أظهرت نتائج الدراسة بأن هناك أثر لبعض المتغيرات المستقلة وخاصة متغيري الجنس ومستوى التعليم على مخزون الذاكرة الجماعية عند اللاجئين. أما متغير مكان السكن فلم يكن له تأثير يذكر بين اللاجئين، وفي الوقت نفسه فقد برز متغير آخر لم يكن بالحسبان وكان له بعض الأثر على عدد من محاور الذاكرة الجماعية لدى اللاجئين وهذا المتغير هو " الانتماء العائلي".

وأخيرا، فقد أظهرت النتائج بأن الرواية الشفوية كانت هي القناة المركزية من بين القنوات الأخرى التي يجري من خلالها انتقال الذاكرة بين اللاجئين، وبالإضافة إلى الرواية الشفوية فقد أظهرت النتائج كذلك أن التراث الشعبي وزيارة القرية برفقة الآباء ووسائل الإعلام واقتناء بعض الوثائق وخاصة المتعلقة بملكية الأرض[الطابو] ومطالعة بعض الكتب التي تتحدث عن القرى المدمرة هي عبارة عن قنوات ومصادر أخرى – لكنها ثانوية – تضاف إلى الرواية الشفوية ويجري من خلالها استقاء الذاكرة الجماعية وانتقالها من جيل إلى جيل.